ناقة الله

للشاعر د.عبد الكريم أحمد عاصي المحمود

أطغى ثمودَ نعيمُها وغناها … فاستكبرت عن شكر من أغناها

إذ فجّرت في الحِجر عذبَ عيونه … وغدتْ بوفر جنانها تتباهى

وتكاثرتْ بزروعها ونخيلها … وتفاخرت بمقامها وقواها

وبنتْ قصوراً في السهول لصيفها … ومن الجبال تجوبها لشتاها

من كل راغية وثاغية حوت … ألبانها ولحومها ونماها

لكنها لم تعبد الله الذي … قد سخّر الدنيا لها وحباها

بل قد أطاعت مفسدين تحكّموا … فيها وصاروا قادة لحماها

ألقت اليهم بالمودّة رغبةً … بل قدّستْ أصنامهم برضاها

فاذا ثمودُ بكفرها مزهوّة … ويزيد من تبعته في طغواها

فجرتْ مقادير الاله ببعثه … منها رسولاً صالحاً لهداها

فغدا يذكّرهم بأنعُم ربهم … فهو الأحقّ ليعبدوه إلها

ويحثّهم أن يتركوا أصنامهم … ويخالفوا من يرفعون لواها

ويجانبوا طغيانهم وفسادهم … ويعودَ رشدُهم الذي قد تاها

وليشكروا لله سيبَ عطائه … لتدوم نعمتُه التي أعطاها

لكنهم رفضوا مطالبَ صالحٍ … زعماً بأن الجنّ قد أملاها

وتنكّروا للحق لما جاءهم … وتجاهلوا حِكَماً لهم أهداها

ودعوا الى تكذيبه وفراقه … وعداء دعوته ومن لبّاها

وتعطّفوا سفهاً على أوثانهم … تبعاً لآباءَ احتفوا بصُواها

وتمسّكوا حبَ الفساد بطغمةٍ … أغوتهمُ وتوسّلو لرضاها

طال الزمان وصالحٌ لا ينثني … عن دعوةٍ لله كم قاساها

مذ كان في بدء الشباب أقامها … حتى غدا شيخاً وما جافاها

لم يأتها إلا أقاربُ قلّةٌ … من قومه وكثيرهم عاداها

وتعاهد الملأ الذين تجبّروا … أن يمحقوا من أرضهم ذكراها

قـــالوا ســـلوه مـــن المعـــاجز آيـــةً
هيهـــات منـــه مرامُهـــا ومـــداها

كيمـــا تكـــون دليلنـــا فـــي كذبـــه
وضـــلاله فيمـــا بـــه قـــد فاهـــا

فـــأتوا بـــه بـــين الجبـــال لصـــخرةٍ
عظمـــــت بـــــأعينهم وزاد ســـــناها

قـــالوا لـــئن أخرجـــتَ منهـــا ناقـــةً
عشـــراء حمـــراء الاهـــاب نراهـــا

فلنـــؤمننّ بصـــدق دعوتـــك التـــي
قـــــد طالمـــــا بلّغتنـــــا اياهـــــا

فـــدعا نبـــيّ الله مالـــكَ قـــدرةٍ
مـــا قـــام كـــونٌ هائـــل لولاهـــا

فتزلزلـــت تلـــك الجبـــال وشـــقّقتْ
أركانهـــــا مترنّحـــــاً أعلاهـــــا

وعـــلا هـــزيم الرعـــد مـــن أعماقهـــا
ودوى صـــداه بأرضـــها وســـماها

فتهـــاوت الأحجـــار مـــن جنباتهـــا
وانهـــار أعلاهـــا علـــى ســـفلاها

وتصـــدّعت منهـــا الصـــخور فشـــاهدوا
منهـــا مشـــاهد هـــالهم مرآهـــا

فتصـــايحوا ذعـــراً وخـــوف هلاكهـــم
لاذوا بصـــالح متّقـــين أذاهـــا

واذا بصـــخرتهم تُشـــقُ ذليلـــةً
عـــن ناقـــةٍ وبـــراء مـــا أحلاهـــا

عشـــراء حمـــراء الأديـــم كبيـــرة
مـــا شـــاهدوا يومـــاً لهـــا أشـــباها

إذّاك قـــال نبـــيّهم يـــا قومنـــا
هـــل تؤمنـــون بخـــالقٍ ســـوّاها

قـــالوا نعـــم إن جئتنـــا بفصـــيلها
فرمـــتْ بـــه مـــن فورهـــا فتلاهـــا

فتعجّبـــوا ممـــا رأوا مـــن آيـــةٍ
وتنـــازعوا فـــي فهمهـــم معناهـــا

فانشـــقّ مـــن ســـبعين مـــنهم خمســـةٌ
نـــدموا وتـــابوا واهتـــدوا لهـــداها

والآخـــرون تجـــاوزوا فـــي غـــيّهم
حكـــمَ العقـــول مضـــلّلين رؤاهـــا

وتقبّلـــوا زيـــغ الهـــوى بنفوســـهم
فـــي شـــقوةٍ جعلـــتهمُ أســـراها

قـــالوا خُـــدعنا ، ســـحّرتْ أبصـــارُنا
ليحـــوز صـــالحُ عزّنـــا والجاهـــا

لكننـــا لا نســـتجيب لســـحره
فينـــالَ منّـــا غايـــةً يهواهـــا

فســـعى ونـــادى صـــالحٌ فـــي قومـــه
كـــم أســـلمتكم غفلـــةٌ لكراهـــا

هـــلاّ أفقـــتم مـــن ظـــلام عنـــادكم
لتـــروا حقـــائق أشـــرقت بضـــياها

هـــا قـــد أتـــتكم آيـــةٌ مـــن ربكـــم
تبغـــي هـــداكم فاحـــذروا عقباهـــا

يـــا قـــوم هـــذي ناقـــة الله التـــي
تقتـــاد أنفســـكم الـــى تقواهـــا

ليســـت كســـائر نـــوقكم فـــي خلقهـــا   إذ حـــلّ فيهـــا ســـرّ مـــن أحياهـــا
جـــاءت جـــزاء عنـــادكم وجحـــودكم   حتـــى تعيـــفَ نفوسُـــكم طغواهـــا
هـــذي عيـــون المـــاء غاضـــت عـــنكمُ   لـــم يبـــق إلا النـــزرُ مـــن أدناهـــا
وانهالـــت الأحجـــار فـــي آبـــاركم   وتناهـــت الأنهـــار فـــي مجراهـــا
أنـــتم وكـــل زروعكـــم وضـــروعكم   ســـينالكم ظمـــأ ولا يتنـــاهى
إلا بعـــودتكم لواهـــب رزقكـــم   مســـتغفرين مطـــأطئين جباهـــا
فـــالآن صـــار المـــاءُ قســـمةَ بيـــنِكم   ولناقـــة الله احـــذروا ســـقياها
لا تظلموهـــا شِـــربها فـــي يومهـــا   أو تمنعوهـــا رعيهـــا وغـــذاها
لا تعتـــدوا فـــي ضـــربها أو مسّـــها   بالســـوء يومـــاً قاصـــدين أذاهـــا
فيصـــيبَكم غضـــبُ الالـــه بنقمـــةٍ   تجتـــاحكم بعـــذابها وأســـاها
ضـــاقت ثمـــود بمـــا أصـــاب غرورَهـــا   وتطيّـــرت حـــين الـــبلاءُ دهاهـــا
بمقـــام صـــالح أو مقـــام صـــحابه   وبناقـــة نزلـــت بهـــا بلواهـــا
واستنصـــرت أنـــذالها وعتاتهـــا   فاهتـــاج إثـــر نـــدائها أشـــقاها
ذاك الأحيمـــرُ كـــان قـــد رضـــع الخنـــا   مـــن ثـــدي زانيـــةٍ غذتـــه ســـفاها
أصـــغت اليـــه مـــن الأســـافل عصـــبةٌ   اذ قـــال إنـــا مـــن ثمـــود ذراهـــا
نحـــن الحمـــاة نـــردّ عنهـــا بأســـها   وأنـــا قُـــدار مقـــدّرٌ لعلاهـــا
عرفـــت أكابرهـــا عظـــيم شـــجاعتي   إذ قلّـــدوني ســـؤلها ومناهـــا
فأنـــا الـــذي أحمـــي أصـــالة دينهـــا   وأنـــا ضـــرورة مجـــدها ونَـــداها
وبصـــولتي أجتـــثّ كـــلّ معانـــدٍ   أو كائـــدٍ أو طـــامعٍ برُباهـــا
وغـــداً تـــرى أتبـــاع صـــالح أننـــا   لا نســـتكين لســـاحرٍ أغواهـــا
خـــدع العيـــونَ بســـحره وأزاغهـــا   عمّـــا تـــرى وبمكـــره غشّـــاها
فتوهّمـــت أن الصـــخور تمخّضـــت   عـــن ناقـــةٍ تمشـــي الـــى مرعاهـــا
بـــل أنهـــا جـــاءت بســـقبٍ راضـــعٍ   منهـــا ويعـــدو تابعـــاً ممشـــاها
عجبـــاً متـــى كانـــت جبـــال بلادنـــا   تلـــد النيـــاقَ ودارُنـــا ســـكْناها
فلقـــد نحتناهـــا بيوتـــاً جمّـــةً   لـــم نلـــقَ فيهـــا أينقـــاً وشـــياها

بل قال صالحُ ان ناقته أتتْ   من قادرٍ فوق السماء براها

فغدتْ تقاسمنا مواردَ شربنا   حتى غدونا سائلين مياها

وغدتْ مواشينا تفرّ مخافةً   منها وتجفل من غريب رُغاها

وأصابنا قحطَ وجدبٌ مدقعٌ   من شؤم صالح في نحوسَ رماها

لا ينجلي نحسٌ أصاب بلادَنا   وتعود بهجة خيرها وجناها

إلا بمقتل صالحٍ وصحابه   وبقتل ناقته ومن يرعاها

رضيت ثمود بما نوى أشرارها   وتغافلت عن فعلهم بعماها

واستهزأت بوعيد صالح أنها   سيكون في سوط العذاب جزاها

فمضت عصابتها لتغدرَ صالحاً   فاذا القضاءُ بحتفها لاقاها

واشتدّ أشقاها لناقة صالحٍ   وبسيفه المشؤوم قد أرداها

صاحت مضمّخةً وفرّ فصيلها   لمجاهلٍ بين الجبال طواها

وتقاسم القوم اللئام لحومها   مستنكرين ببغيهم جدواها

نزل الملائكُ بالقضاء لصالحٍ   أنذر ثمود فذا العذابُ أتاها

ولتوبها قد أَمهلتْ لثلاثةٍ   بقيت من الأيام ليس سواها

ومن التلوّن في الوجوه علامةٌ   من صفرةٍ أو حمرةٍ ستراها

حتى اذا اسودّتْ أحاط بجمعها   رجزٌ أليمُ وخانها مأواها

فعدا اليهم صالحٌ متلهّفاً   ومنادياً بضراعةٍ جلاّها

يا قومِ هبّوا للمتاب فهذه   نذَرُ العذاب قد ابرقت بسناها

لكنهم صمّوا وزاد عنادهم   وأتوا بسخريةٍ يفيض خناها

قالوا ائتنا إن كنت تصدق بالردى   ما كنتَ إلا كاذباً تيّاها

ومضوا لآخر ليلةٍ ووجوههم   يزداد فيها نحسُها ودُجاها

حتى اذا ما الصبحُ قارب ضوؤه   هبط الأمينُ بصيحةٍ والاها

رجفت لها وديانهم وجبالهم   وتخرّقتْ أسماعهم بصداها

وتفطّرت أكبادهم وقلوبهم   وتيبستْ أبدانهم بدماها

سقطوا جثوماً للوجوه بدارهم   لم يبق منهم قائمٌ بثراها

وهــــوت علـــيهم باللهيـــب صــــواعقٌ
صـــــاروا هشـــيماً فاحمـــاً بلظاهـــا

وقـــف النبـــيّ مخاطبـــاً أصـــحابه
هـــا قـــد رأيـــتم مـــن ثمـــود بلاهـــا

كرهـــتْ نصــــائح طالمـــا أســـديتها
وتمسّـــــكتْ بضــــلالها وهواهـــــا

وســـعت تغالــــب ربهـــا بجحودهـــا
فهـــوتْ وخـــاب بكِبرهـــا مســـعاها

كفــــرتْ بـــــأنعُم ربهـــا فأذاقهـــا
مـــرّ العـــذاب بويلـــه أخزاهـــا

لــم تُغــن عنهــا فـــي الجبـــال بيوتُهـــا
أو فـــي الســـهول قصـــورُها وبُناهـــا

وأذلّهـــا الجبـــارُ مـــن عليائـــه
وبصـــيحةٍ مـــن فوقهـــا أفناهـــا

وبفـــيض رحمتـــه أحـــاط نفوســـكم
ومـــن الهـــلاك بلطفـــه نجاّهـــا

يـــا إخـــوة الايمـــان فـــاز موحّـــدٌ
لله يشـــــكر تائبـــــاً أوّاهـــــا

بـــادت ثمـــود بكفرهـــا فكأنهـــا
لـــم تحـــيَ غيـــر عشـــيةٍ وضـــحاها

